

Wisdom الحكمة

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

يقول معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية:
"لا تكونوا حكماء عند أنفسكم" (رومية 12: 16)

ولكن يعلمنا الكتاب المقدس بعض التعاليم القوية عن الحكمة فيقول:
✠ "لأن الحكمة خير من اللآلئ وكل الجواهر لا تساويها" (أمثال 8: 11)
✠ "الحكمة بنت بيتها نحتت أعمدتها السبعة" (أمثال 9: 1)
✠ "بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم" (أمثال 9: 10)
✠ "الحكمة خير من القوة والحكيم أفضل من الجبار" (الحكمة 6: 1)
✠ "فابتغاء الحكمة يبلغ إلى الملكوت" (الحكمة 6: 21)
✠ "لأن الله لا يحب أحداً إلا من يساكن الحكمة" (الحكمة 7: 28)

أسئلة:

- هل هناك تناقض في تعاليم الكتاب المقدس؟
- وإن لم يكن، فما معنى الحكمة وما هي مصادرها وما هي معطلاتها؟
- وكيف يوصينا معلمنا بولس الرسول بأن لا نكون حكماء عند أنفسنا؟
- وكيف نقتني الحكمة؟

الإجابة:

لكي نعرف معنى الحكمة، يجب علينا أولاً أن نعرف الفرق بين الحكمة والذكاء.

الذكاء:

مصدره العقل. وقد يكون مجرد نشاط فكري سليم أما الحكمة فهي لا تقتصر على التفكير السليم بل تتبعه بالتصرف الحسن في السلوك العملي. وهي لا تعتمد على العقل فقط، إنما تستفيد أيضاً من الخبرة والإرشاد ومن معونة الله بالصلاة.

أما الحكمة:

فهي ليست مجرد المعرفة السليمة أو الفكر الصائب إنما هي تدخل في صميم الحياة العملية لتعبر عن وجودها بالسلوك الحسن. فإن كان العقل يميزه الفهم والتفكير فإن الحكمة يميزها حسن التصرف والتدبير. حقاً إن الذكاء أو التفكير السليم يجوز اختباراً دقيقاً عند التطبيق العملي فإن نجاح فيه يتحول إلى حكمة. وهكذا تشمل الحكمة جودة التفكير ودقة التعبير وسلامة التدبير. في هذا يقول الكتاب المقدس:
✠ "أنا الحكمة اسكن الذكاء وأجد معرفة التدبير" (أمثال 8: 12)

ومصدر الحكمة هو الله هو الذي يهب الحكمة لمن يشاء.

وهكذا قد يولد الإنسان حكيماً كموهبة له من الله. وتظهر حكمته في مراحل سنه المختلفة. إنها الحكمة النازلة من فوق التي وصفها معلمنا يعقوب في قوله:

✠ "من هو حكيم وعالم بينكم فليبر أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة. ولكن ان كان لكم غيرة مرة وتحزب في قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية. لأنه حيث الغيرة والتحزب، هناك التشويش وكل امر رديء. وأما الحكمة التي من فوق فهي أولاً ظاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثمارا صالحة عديمة الريب والرياء. وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام" (يعقوب 3: 18 - 13)

معطلات الحكمة

1. قلة المعرفة وعدم الدقة

قد يكون الإنسان ذكياً يفكر أفكاراً سليمة ولكن تنقصه الدقة في التعبير لنقص معلوماته عن المدلول الدقيق لكل لفظة. فيخطئ حينما يعبر عن قصده. أما الإنسان الحكيم، فإنه يقول بدقة ما يقصده. وأيضاً يقصد كل ما يقوله.

- ✠ "فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق" (مزمور 37: 30)
- ✠ "رأس الحكمة مخافة الرب. فطنة جيدة لكل عاملها. تسبيحه قائم إلى الأبد" (مزمور 111: 10)
- ✠ "مخافة الرب راس المعرفة، أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب" (أمثال 1: 7)
- ✠ "في قلب الفهيم تستقر الحكمة وما في داخل الجهال يعرف" (أمثال 14: 33)

2. السرعة في التصرف

ولذلك يتصرف الحكماء بالتروي. فالحكيم لا يندفع في تصرفاته. وإنما يتريث حتى لو مقتنع شخصياً حتى يفكر بأسلوب أعمق وأوسع. إن السرعة لا تعطي مجالاً واسعاً للتفكير والبحث والدراسة ومعرفة الرأي الآخر. كما انها لا تفسح مجالاً للمشورة ولعرض الأمر على الله في الصلاة. وربما تحوي السرعة في طياتها لوناً من السطحية. ولذلك كثيراً ما تكون التصرفات السريعة هوجاء طائشة!

✠ "تروا في أوامر الرب وفي وصاياه تأمل كل حين فهو يثبت قلبك وينيلك ما تتمناه من الحكمة" (سيراخ 6: 37)

✠ "ومنهم تتعلم الحكمة وأن ترد الجواب في وقت الحاجة" (سيراخ 8: 12)

3. الجهل بجمال الحياة العائلية

ومن أمثلة ذلك: ربما يكون رجل ذكياً جداً ومع ذلك فهو فاشل في حياته الزوجية إذ لم يكن حكيماً في تعامله مع زوجته! وسبب ذلك هو جهله بنفسية المرأة والمفروض في الزوج الحكيم انه يدرس عقلية المرأة ونفسيته وظروفها. ولا يتعامل معها كأنها بنفسية رجل! وبالمثل على المرأة أن تدرس نفسية الرجل وعقليته، لكي تعرف كيف تتعامل معه بما يناسبه. ونفس الكلام نقوله في معاملة الأطفال إذ ينبغي ان ندرس نفسية الطفل وعقليته في كل مرحلة حتى نعرف الطريقة الحكيمة للتعامل معه.

✠ "بالحكمة يُبنى البيت وبالفهم يثبت" (أمثال 24: 3)

✠ "الرجل الحكيم في عز وذو المعرفة متشدد القوة" (أمثال 24: 5)

ما معنى قول معلمنا بولس الرسول "لا تكون حكماً عند أنفسكم" (رومية 12: 16)؟

هذه الآية تكررت في الكتاب المقدس:

✠ "لا تكن حكيماً في عيني نفسك. اتق الرب وابتعد عن الشر" (أمثال 3: 7)

وهي توازي الآية التي تكررت أيضاً والتي تقول:

✠ "توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت" (أمثال 14: 12، 16: 25)

وذلك لأن الإنسان – لكونه حكيماً في عيني نفسه – تيدوا له هذه الطريق مستقيمة بينما عاقبتها طرق الموت.

ولكن في أي شيء أو أشياء يكون الإنسان حكيماً عند نفسه؟

1. في الفكر

مثل أفكار الفلاسفة في العصور القديمة والحديثة (كالأبيقوريين والأفلاطونيين والغنوسيين ... الخ). ويرد الكتاب المقدس على مثل هؤلاء ويعلمنا:

✠ "توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد" (أمثال 3: 5)

2. في الدين

وهناك الكثير الذين يحاولون أن يفسروا الكتاب المقدس على هواهم ولصالحهم مثل الكتبة والفريسيين والأريوسيين والنساطرة وشهود يهوه والأدفنتست والطوائف والديانات الأخرى والشواذ وغيرهم معتزين بفكرهم ومعرفتهم في كبرياء وعناد.

✠ "فاني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم أن لا يرتني فوق ما ينبغي أن يرتني بل يرتني إلى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان" (رومية 12: 3)

3. في مجال العلم

الذي فيه نسي الكثيرين فضل الله في معرفتهم وتقدمهم وحتى في محاولات الاستنساخ دعوا أنفسهم آلهة ناسين أنهم يستخدمون أشياء أوجدها الله، فانهم لا يخلقوا أشياء جديدة من العدم.

✠ "وكلم الرب موسى قائلاً. انظر قد دعوت بصلنيل بن اوري بن حور من سبط يهوذا باسمه. وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة. لاختراع مخترعات ليعمل في الذهب والفضة والنحاس" (خروج 31: 1 – 3)

✠ "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا لله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" (رومية 1: 28)

✠ "الذين نهايتهم الهلاك الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيمهم الذين يفتكرون في الأراضيات" (فيلبي 3: 19)

✠ "كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها" (جامعة 9: 10)

4. في مجال السياسة والعلم

معظم القادة يظنون أنهم حكماء عند أنفسهم مثل فرعون وشاول وهيرودس ونيرون ومكسيميانوس وغيرهم وكل مضطهدو المسيحية في العصور القديمة والحديثة والملحدين الذين يقاومون احتفالات المسيحيين حتى في أقدس مناسباتهم.

✠ "قلوبهم السمين قد أغلقوا، بأفواههم قد تكلموا بالكبرياء" (مزمور 10: 17)

✠ "تأتي الكبرياء فيأتي الهوان ومع المتواضعين حكمة" (أمثال 11: 2)

✠ "الكبرياء ممقوتة عند الرب والناس، وشانها ارتكاب الإثم أمام الفريقين" (سيراخ 10: 7)

✠ "فان كنتم تلتذون بالعرش والصولجان يا ملوك الشعوب، فأكرموا الحكمة لكي تملكوا إلى الأبد" (الحكمة 6: 22)

✠ "الحكمة والعلم ومعرفة الشريعة من عند الرب. المحبة وطرق الأعمال الصالحة من عنده" (سيراخ 11: 15)

5. في السحر والجدل

للأسف الشديد يلجأ بعض الناس حتى في القرن الواحد والعشرون إلى السحر وعبادة الشيطان وقراءة الكف، حتى في بلاد المهجر، كما نقرأ عنها في إعلانات التليفزيون والجراند. وقد قام بذلك شاول الملك عندما ذهب إلى عرافة. وطلب إصعاد روح صموئيل النبي (1 صموئيل 28).

✠ "النفس التي تلتفت إلى الجان والى التوابع لتزني وراءهم، اجعل وجهي ضد تلك النفس واقطعها من شعبها" (لاويين 20: 6)

✠ "وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني" (رؤيا 21: 8)

✠ "لأن خارجاً الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذباً" (رؤيا 22: 15)

6. في الرياء للمجد الباطل والغنى الباطل

مثل الذين بنوا برجاً لأنفسهم أو جيحزي الذي جري وراء نعمان السرياني وكذب عليه وطلب ما لا لم يطلبه اليسع النبي أو الغني الغبي الذي ابتغي أن يبني لنفسه مخازن عظيمة.

✠ "وقالوا هلم نبين لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسماً لنلا نتبدد على وجه كل الأرض... فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض ففكوا عن بنيان المدينة" (تكوين 11: 4 - 8)

✠ "فسار جيحزي وراء نعمان ولما رآه نعمان راكضاً وراءه نزل عن المركبة للقاتنه وقال: أسلام؟ فقال: سلام. إن سيدي قد أرسلني قانلاً هوذا في هذا الوقت قد جاء إلي غلامان من جبل أفرام من بني الأنبياء فأعطهما وزنة فضة وحلتي ثياب. فقال نعمان اقبل وخذ وزنتين وألح عليه وصر وزنتي فضة في كيسين وحلتي الثياب ودفعتها لغلمايه فحملها قدامه. ولما وصل إلى الأكمة أخذها من أيديهما وأودعها في البيت وأطلق الرجلين فانطلقا. وأما هو فدخل ووقف أمام سيده. فقال له اليسع: من أين يا جيحزي؟ فقال: لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك. فقال له: ألم يذهب قلبي حين رجع الرجل من مركبته للقاتنك؟ أهو وقت لأخذ الفضة ولأخذ ثياب وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد وجوار. فبرص نعمان يلصق بك وينسلك إلى الأبد وخرج من أمامه أبرص كالثلج" (2 ملوك 5: 20 - 27)

✠ "ضرب لهم مثلاً قانلاً: إنسان غني أخصبت كورته. ففكر في نفسه قانلاً: ماذا اعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري. وقال اعمل هذا: أهم مخازني وابني أعظم واجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي. وأقول لنفسي يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريح وكلي واشربي وافرحي. فقال له الله: يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التي أعدتها لمن تكون. هكذا الذي يكثر لنفسه وليس هو غنياً لله" (لوقا 12: 15 - 21)

7. في المؤامرات الظالمة

مثلما فعل آخاب وايزابل اللذان تآمرا ضد نابوت اليزرعيلي وقتلوه واستولوا على كرمه (1 ملوك 21) ومثل خطة داود لقتل أوريا الحثي ليتزوج بامرأته بثشبع (2 صموئيل 11). هؤلاء الظالمين ينسون أن هناك إلهاً ينتقم للمظلومين حتى وإن صمتوا.

✠ "هكذا قال الرب في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً... وتكلم الرب عن ايزابل أيضاً قانلاً: إن الكلاب تأكل ايزابل عند مترسة يزرعيل. من مات لآخاب في المدينة تأكله الكلاب ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء. ولم يكن كآخاب الذي باع نفسه لعمل الشر في عيني الرب الذي أغوته ايزابل امرأته" (1 ملوك 21: 17 - 26)

✠ "لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة وإياه قتلت بسيف بني عمون. والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة. هكذا قال الرب هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك واخذ نساءك

أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس. لأنك أنت فعلت بالسر وأنا افعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس" (2 صموئيل 12: 9 – 12)
✚ "في كبرياء الشرير يحترق المسكين يؤخذون بالمؤامرة التي فكروا بها" (مزمو 10: 2)

8. في الانتقام

مثلما دبر أبشالوم خطة لقتل أمنون الذي زني بأخته ثامار (2 صموئيل 13: 23 – 9). ومثلما فعل شمعون ولاوي وقتلا رجال شكيم للانتقام لشرف أختهم دينة (تكوين 34) وكانا بهذا حكما في أعين انفسهما ناسين قول الكتاب:

✚ "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (خروج 14: 14)
✚ "ليتكم تصمتون صمتاً، يكون ذلك لكم حكمة" (أيوب 13: 5)
✚ "لي النعمة والجزاء، في وقت تزل أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب والمهيات لهم مسرعة" (تثنية 32: 35)
✚ "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء، بل أعطوا مكاناً للغضب لأنه مكتوب: لي النعمة أنا أجازي، يقول الرب" (رومية 12: 19)

9. في الانتحار

المنتحر يكون حكيماً في عيني نفسه لأنه يظن ان الموت يريحه من متاعبه بينما تنتظره المتاعب وآلام الأبدية التي لا ولن تنتهي. هكذا فعل أختيوفل ويهوذا الأسخريوطي.
✚ "وأما أختيوفل فلما رأى ان مشورته لم يعمل بها، شد على الحمار وقام وانطلق إلى بيته إلى مدينته وأوصى لبيته وخنق نفسه ومات ودفن في قبر أبيه" (2 صموئيل 17: 23)
✚ "فطرح (يهوذا) الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه" (متي 27: 5)
✚ "أول كبرياء الإنسان ارتداده عن الرب" (سيراخ 10: 14)

10. في المعاملات

كثيراً ما يلجأ البعض إلى أسلوب خاطئ يظنونه حكمة في المعاملات الشخصية، في الشدة مع الأولاد، في الغيرة علي الزوج أو الزوجة، فيما يظنونه نصاحة في الغش والتزوير أو تحليل أشياء خاطئة أن يجعلونها مقبولة مثل شرب الخمر أو المخدرات أو العلاقات الخاطئة.
✚ "تهلك المتكلمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب" (مزمو 5: 6)
✚ "موازين غش مكرهة الرب والوزن الصحيح رضاه" (أمثال 11: 1)
✚ "الشرير يكسب أجره غش والزارع البر أجره أمانة" (أمثال 11: 18)
✚ "الخصام إنما يصير بالكبرياء ومع المتشاورين حكمة" (أمثال 13: 10)
✚ "فماذا نفعتنا الكبرياء وماذا أفادنا افتخارنا بالأموال" (الحكمة 5: 8)
✚ "قنية الحكمة كم هي خير من الذهب وقنية الفهم تختار على الفضة" (أمثال 16: 16)

كيف نفتني الحكمة؟

1. طلب الحكمة

نحن في مواقف عديدة في حياتنا، قد تكون رعوية أو مصيرية أو قهرية أو عملية أو عائلية، نحتاج إلي كل الحكمة التي تفوق العقل والذكاء وكل فهم. هنا نطلب من الله أن يهبنا حكمة لكي نستطيع أن نتصرف حسناً، بمعونته، كما علمنا:
✚ "وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له" (يعقوب 1: 5)

ونجد مثلاً جميلاً في سليمان الحكيم الذي وجد نفسه أمام مسئولية عظيمة وهي رعاية شعب لله فصرخ إلى الله وقال:

✠ " اعط عيدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك واميز بين الخير والشر لأنه من يقدر ان يحكم على شعبك العظيم هذا. فحسن الكلام في عيني الرب لأن سليمان سال هذا الامر. فقال له الله من اجل أنك قد سالت هذا الامر ولم تسال لنفسك ايما كثيرة ولا سالت لنفسك غنى ولا سالت أنفس اعدائك بل سالت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم. هوذا قد فعلت حسب كلامك هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى إنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك. وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله: غنى وكرامة حتى انه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل أيامك" (1 ملوك 3: 9 - 13)

وعندما حلم نبوخذنصر احلاماً، فانزعجت روحه وطار عنه نومه ولم يستطع أحد من المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون أن يخبروا الملك بأحلامه، قرر قتلهم جميعاً ومعهم دانيال النبي والثلاثة فتية. حينئذ أجاب دانيال بحكمة وطلب وقت للصلاة وطلب الحكمة من الله، فيقول الكتاب:

✠ " فدخل دانيال وطلب من الملك ان يعطيه وقتاً فيبين للملك التعبير. حينئذ مضى دانيال الى بيته واعلم حنيا وميشانيل وعزريا اصحابه بالأمر. ليطلبوا المراحم من قبل إله السموات من جهة هذا السر لكي لا يهلك دانيال واصحابه مع سائر حكماء بابل. حينئذ لدانيال كشف السر في رؤيا الليل فبارك دانيال إله السموات. اجاب دانيال وقال ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والجبروت. وهو يغير الاوقات والازمنة، يعزل ملوكاً ويُنصب ملوكاً، يعطي الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهما. هو يكشف العمائق والاسرار يعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور. إياك يا إله آبائي احمد واسبح الذي اعطاني الحكمة والقوة وأعلمني الآن ما طلبناه منك لأنك اعلمتنا أمر الملك" (دانيال 2: 16 - 23)

ولذلك مهما واجهتنا الظروف ووجدنا أنفسنا في أصعب المواقف أو حتى بين ذناب، تذكر وعد الله: ✠ " انا اعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم ان يقاوموها او يناقضوها" (لوقا 21: 15)

2. الإحساس باحتياج الحكمة

اعتقد أن مشكلة البشرية كلها منذ بدء الخليقة أننا صدقنا الشيطان بأننا آلهه عندما خدعنا وقال لنا: ✠ " لن تموتا. بل لله عالم انه يوم تاكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تكوين 3: 4 - 5)

ولهذا فنحن لا نطلب الحكمة لأننا نظن أننا نعرف كل شيء، بل خير العارفين. نظن أننا نعرف كل شيء عن كل شيء. نعرف ونفهم كل الناس من أول نظرة أو كلمة كما نفهم الكاهن والأسقف من أول وعظة. ونفهم كل شيء عن الكنيسة وطقوسها وعقيدتها وقوانينها ونحن الذين سننتخب البابا الجديد لأننا حماة الكنيسة والذين سننقيها من الفساد الداخلي والخارجي... الخ.

أسمع كل هؤلاء الحكماء في أعين أنفسهم بكل أسي وحزن واتعجب كيف ننسى أن ابواب الجحيم لن تقوي عليها وأن السيد الرب هو قائد السفينة. صدق قول الكتاب عن هذا الجيل: ✠ " كل طرق الانسان نقية في عيني نفسه والرب وازن الارواح" (أمثال 16: 2)

وينسى هذا الحكيم في عيني نفسه ما قاله الكتاب: ✠ "أرأيت رجلاً حكيماً في عيني نفسه. الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به" (أمثال 26: 12)

إذن، لكي نقتني الحكمة، يجب أن نعترف أولاً أننا غير حكماء في أعين أنفسنا. يجب أن نحس بانته يوجد احتياج الي الحكمة ونذكر أنفسنا بالمرات الكثيرة التي عثرنا فيها وأخطأنا بجهل وتسرع وعدم دراية

للأمور وكبرياء وعدم اتضاع ناسين ضعفنا البشري:
✠ "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح" (أمثال 16: 18)

فإذن، يجب أن نشعر باحتياجنا للحكمة ونظهرها في أعمالنا، كما يقول الكتاب:
✠ "من هو حكيم وعالم بينكم، فلير أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة" (يعقوب 3: 13)

والحكمة (الله الكلمة) تسند ضعفنا وتقويننا:
✠ "الحكمة تقوي الحكيم أكثر من عشرة مسلطين الذين هم في المدينة" (جامعة 7: 19)

3. المشورة

المشورة التي نأخذها من ذوي الحكمة. وفي ذلك يضيف الإنسان معرفة إلى معرفته وعقلاً إلى عقله،
ويصير حكيماً بشرط أن ينفذ المشورة التي أخذها من حكمة غيره، كما يقول الكتاب:

✠ "التمس مشورة الحكيم دائماً" (طوبيا 4: 19)

✠ "أمثال سليمان ابن داود ملك إسرائيل. لمعرفة حكمة وأدب لإدراك أقوال الفهم. لقبول تأديب
المعرفة والعدل والحق والاستقامة. لتعطي الجاهل ذكاء والشاب معرفة وتدبيراً. يسمعها الحكيم
فيزداد علماً والفهم يكتسب تدبيراً. لفهم المثل واللغز، أقوال الحكماء وغوامضهم. مخافة الرب
راس المعرفة أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب" (أمثال 1: 1 - 7)

ويقول الآباء الروحيون: إن الذين بلا مرشد يسقطون مثل أوراق الخريف، وبخاصة المبتدون منهم.

✠ "المساير الحكماء يصير حكيماً ورفيق الجاهل يضر" (أمثال 13: 20)

✠ "في صباتي قبل ان اتيه، التمست الحكمة علانية في صلاتي" (سيراخ 51: 18)

4. قراءة سير الحكماء والناجحين في حياتهم

لكي يتأثر القارئ بسيرة هؤلاء وسلوكهم وكيف كانت تصرفاتهم في شتى الظروف والملابسات وكيف
كانوا يجيبون على الأسئلة المعقدة وكيف كانوا يحلون المشاكل العويصة.

✠ "طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة وللرجل الذي ينال الفهم" (أمثال 3: 13)

✠ "اقتن الحكمة. اقتن الفهم. لا تنس ولا تعرض عن كلمات فمي" (أمثال 4: 5)

✠ "الحكمة هي الرأس، فاقتن الحكمة وبكل مقتنك اقتن الفهم" (أمثال 4: 7)

كذلك يدرس كيف يحترس من الأخطاء التي وقع فيها الغير. ومعرفة أسباب ذلك السقوط، وكيفية النجاة
منه. وهكذا كما قال أحد الحكماء "تعلمت الصمت من البيغاء!"

5. الخبرة

فالإنسان المختبر يكون أكثر حكمة. وكلما زادت خبرته تتعمق على هذا القدر حكمته، لهذا يتحدث الكثيرون
عن 'حكمة الشيوخ' من واقع ما مر عليهم من خبرات في الحياة.

✠ "الحكيم عيناه في رأسه، أما الجاهل فيسلك في الظلام" (جامعة 2: 14)

✠ "من كالحكيم ومن يفهم تفسير أمر، حكمة الإنسان تنير وجهه وصلابة وجهه تتغير" (جامعة 8:

1)

6. الهدوء

الهدوء يعطي الإنسان فرصة جميلة للتفكير في أمور الحياة بعيداً عن الضغوط النفسية والعاطفية والعائلية
والمالية وبعيداً عن أي انفعالات أو اندفاع أو تهور أو أية مشاعر متأججة فلا يأخذ قرارات في سرعة
وانفعال بل ينتظر قليلاً حتى تهدأ الأمور ولا في حديث مع أي إنسان منفعّل بل يترك الأمور حتى تهدأ لأن:

✠ "قلب الحكيم يرشد فمه ويزيد شفتيه علماً" (أمثال 16: 23)

نري تنفيذاً عملياً لهذه الآية في حكمة أبيجايل عندما ثار داود وأراد قتل زوجها نابال، فعندما علمت أن داود سائر مع جيشه لقتله، أسرعت للقاءه ثم:

✠ "لما رات أبيجايل داود اسرعت ونزلت عن الحمار وسقطت امام داود على وجهها وسجدت إلى الأرض. وسقطت على رجليه وقالت على انا يا سيدي هذا الذنب ودع أمتك تتكلم في اذنيك واسمع كلام أمتك. لا يضعن سيدي قلبه على الرجل اللئيم هذا على نابال لان كاسمه هكذا هو نابال اسمه والحماقة عنده وانا أمتك لم ار غلمان سيدي الذين أرسلتهم. والان يا سيدي حي هو الرب وحية هي نفسك ان الرب قد منعك عن اتيان الدماء وانتقام يدك لنفسك والان فليكن كنبال اعداؤك والذين يطلبون الشر لسيدي" (1 صموئيل 25: 23 – 26)

فعندما رأي داود هذه الحكمة في الكلام، قال لها:

✠ "مبارك الرب إله اسرائيل الذي أرسلك هذا اليوم لاستقبالي. ومبارك عقلك ومباركة أنت لأنك منعتني اليوم من اتيان الدماء وانتقام يدي لنفسي" (1 صموئيل 25: 32 – 33)

وهنا نري كيف أن قلب أبيجايل الهادئ الحكيم أرشد فمها للكلام وارجاع داود عن غضبه ووقف قتالاً كان سيحدث في ذلك اليوم.

الهدوء لا يعطي فقط فرصة للقلب أن يظهر حكمة في الكلام والتصرف، بل يمنحنا فرصة سماع الآخرين واحترام آراءهم والانتفاع بخبراتهم، فلا نكون متسلطين ومتشددين في آراءنا وأحكامنا التي ربما تضرنا وتضر من حولنا.

الهدوء يعطينا أيضاً حكمة وزن الأمور وعدم إدانة الآخرين. يحكي عن الأنبا موسى الأسود أنه عندما بدأ سلك الرهبنة بدأ يأكل مع الرهبان وكان أكلهم بسيط وقليل وكان يجوع جداً، لأنه اعتاد الأكل بكميات كبيرة، وكما نعلم المعدة دائماً تحتاج إلى التدرج فلا يليق بعدما كانت تأخذ كميات كبيرة فجأة تأخذ كميات قليلة، فهي مثل البلونة بعدما تنتفخ لكي تصغر... تصغر بالتدرج، وبعد تناول وجبة الغداء يبحث عن هذه الوجبة ثم يعرف أن ما تناوله هو الغداء، فذهب بأمانة وصدق وشكى لأب اعترافه عن كمية الطعام وأنه يجوع، فأحضر أب اعترافه جزع شجرة وقال له أنا هأمرهم في الدير أن يصرفوا لك كل يوم وزن هذا الجزع طعام. فكان الجزع في البداية ثقيل ولكن مع الوقت لأنه مقطوع من الشجرة فبدأ يجف وبالتالي الطعام يقل لكن بالتدرج، ونرى حكمة الشيخ فعلى ما ذبل الجزع وسقط الورق منه كان الأنبا موسى وصل لكمية أكل الرهبان لكن بالتدرج.

لكن لو أحد غير حكيم كان يرد ويقول هذا هو نظامنا وإن لم يعجبك فأنت لا تنفع معنا. هذه حكمة هادئة ليس فيها انفعال أو تسرع الذي كان ممكناً أن يثير الأنبا موسى في ضعفه وبدء رهبنته ويجعله يترك الدير بل وربما حياة القداسة كلية ويعود إلى حياة الخطية. انها تعلمنا أن التروي والهدوء والتدرج في أمورنا وأمور من نرعاها يجعلنا نربح نفوساً وخرافاً ضالة، لأن:

✠ "ثمر الصديق شجرة حياة ورايح النفوس حكيم" (أمثال 11: 30)

7. العمق في التفكير

الانسان العميق في تفكيره، دائما ما يتروى في ردوده لأنه يفكر فيها في هدوء وحساب كامل قبل أن ينطق بكلمة خاطئة أو جارحة أو قاضية في حكمها. أنه يحسب ما له وما عليه وكيف تمشى الأمور وما هي الآثار الجانبية وردود الفعل لكلامه وتصرفاته، فلا يفقد سلامه ولا اتزانة ولا حلمه في معالجة الأمور الصعبة.

فهناك من يتسرع في حكمه للأمور وينهي اي مناقشة بعصبية و غضب وأقوال هادمة مثل:
لا فائدة... هذا لا ينفع... ليست هناك أي فائدة من مناقشة الموضوع... الأمر منتهي... الخ.

لو فكر هذا الانسان في عمق لوجد أن هناك حلول لا حل، فلا توجد مشكلة ليس لها حل الا التي لا نريد أن نحلها. ولكن ان أردنا الحل وصلينا أن يرشدنا الله الي حل، سنجد حلولاً لا تعد.

اذكر ما فعله القديس أبو مقار عندما اشتهى في قلبه أن يعبد الله منفرداً في البرية الداخلية الجوانية، أي يعيش الوحدة بعمق، ونحن عندما نسمع هذه الكلمة نجدها حلوة وجميلة وربما نسرع لتنفيذها.

هل تظن للحظة أن القديس أبو مقار أسرع في قراره وخرج إلى البرية أم فكر في عمق عن ما قد يواجهه هناك وصلي من أجل هذا القرار لمدة ثلاثة سنوات ليتأكد انها ليست حرباً من الشيطان وليأخذ وقته للإعداد لهذه الخطوة الكبيرة.

لو انت في نفس الوضع، ماذا تفعل؟ هل تفكر في حروب من عدو الخير، خوف من الأيام والليالي التي تمر عليك، خوف من الحوش وربما الملل، خوف من الصعاب والضجر. هل قامتك الروحية ستتحمل كل هذا أم مجرد أنك تشعر بالرغبة في العيش منفرداً ففتسرع وتذهب وتعيش لوحدهك وعندما تواجهك هذه الحروب تفشل وترجع مخزي الوجه ومهزوماً من عدو الخير؟

لبيتنا نتبع نفس الطريقة في كل أمور حياتنا. لنفكر في عمق قبل اتخاذ اي قرار، ونعطي وقتاً كافياً للصلاة والاعداد لهذا القرار ونتائج التي ربما لن تؤثر علينا فقط، بل ربما كل العائلة والاقارب والأصدقاء. لبيتنا نصلي ونضع في أذهاننا هذه الآية:

✠ "لنكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية امامك يا رب صخرتي ووليي" (مزمر 19: 14)

المراجع

1. الكتاب المقدس
2. كتابات ومقالات وعظات قداسة البابا شنودة الثالث
3. كتابات آباء الكنيسة من الأساقفة والكهنة في كلتا الكنيستين المنتصرة والمجاهدة